آفاق إبداعية في التربية العربية:
نزعة الأنسنة
لأنسنة التربية وتربية الإنسان

إعداد
أ. د/ صلاح الدين محمد توفيق
أستاذ فلسفة التربية بكلية التربية– جامعة بنها
ورئيس قسم الإعلام التربوي (الأسبق)
ومدير المركز الجامعي للمعلومات والخدمات التربوية والنفسية والبيئية
والأمين العام للجمعية المصرية لأصول التربية– بنها– (ج. م. ع)

آفاق إبداعية في التربية العربية:
نزعة الأنسنة لأنسنة التربية وتربية الإنسان

إعداد

أ. د/ صلاح الدين محمد توفيق

أستاذ فلسفة التربية بكلية التربية- جامعة بنها

ورئيس قسم الإعلام التربوي (الأسبق)

ومدير المركز الجامعي للمعلومات والخدمات التربوية والنفسية والبيئية

والأمين العام للجمعية المصرية لأصول التربية- بنها- (ج. م. ع)

الملخص

تعد نزعة الأنسنة في التربية أحد أهم التيارات والحركات الفكرية والتربوية التي توجت العهد والعصر الذهبي الإسلامي وفجرت ينابيعه الفكرية والأدبية. وقد قدمت بأنساقها الفكرية رؤية جديدة حول طبيعة الإنسان تتمثل في التأكيد على جوهر الإنسان بما ينطوي عليه هذا الجوهر الإنساني من حرية وإرادة وقدرة على تحديد المصير. لقد أبدعت هذه النزعة الإنسانية الفكرية رؤية تنويرية فلسفية جديدة تتجه نحو الإنسان وتستلهمه، فشكلت في عصرها ثورة فكرية شاملة على المنظومات الفكرية التقليدية التي كانت سائدة آنذاك.

إنا التوجه الإنساني للدعوة نحو تربية إنسانية جديدة لمواكبة تطورات العصر الجديد عصر الصحوة والنهضة الإنسانية العربية- لأنسنة الإنسان وإنسانية الإنسان- وتحدياته المهولة. أقل ما يقال عنها بأنها تبحث عن القيمة الجوهرية للإنسان وتعمل على إعادة الاعتبار للجوهر الإنساني. فالإنسان ليس قيمة شكلية ولا تكمن قيمته في صوغ شكلي للأدب والشعر والخطابة. إنه إنسان يتدفق بالمعاني الإنسانية، إنه إنسان يمتلك قلباً وعواطف وميول إنسانية، إنسان يفيض بقدرة على التأمل والتفكير إنه عقل يعقل، إنسان يحيا بجسد ينبض بالحسو الحركة، وبالتالي فإن تلبية مطالب الجسد والروح والحياة والعقل تمثل الجوهر الحقيقي لإنسانية الإنسان. وتلك هي الغاية التي كان يسعى إليها كل مفكر إنساني أصيل.

لقد انتظمت جهود هؤلاء المفكرين في البحث عن الإنسان وتأكيد قيمته الإنسانية، فحددوا السبل والمضامين والغايات التربوية والأساليب التي تمكنهم من الوصول إلى الغاية التي تحقق التوافق بين الإنسان وقيمته الإنسانية من جهة وبين الإنسان والواقع الذي يعيش فيه من جهة ثانية.

وقد تجلت قضية النزعة الإنسانية ممثلة في نظرية الإنسان الكامل، فقدمت نظرية في التربية الإنسانية لتحقيق المثل الأعلى للكمال الإنساني في كافة المجالات.

الكلمات المفتاحية:

نزعة الأنسنة، أنسنة التربية، تربية الإنسان.

نحو نزعة نهضوية إنسانية عربية في التربية تسهم في تنوير وتثوير الفكر العربي الإسلامي المعاصر

لامندوحة أن من ينظر اليوم إلى المؤسسات التربوية العربية يصاب بصدمة عنيفة لما آلت إليه من تصدع وانهيار. وتكون هذه الصدمة على أشدها عندما يقارن بين أوضاع التربية في العصر الوسيط الغربي الذي عرف بعصر الظلام وبين التربية التي تسود في مختلف المؤسسات التربوية العربية القائمة اليوم. فأوضاع التعليم لدينا اليوم شديدة التشابه مع أوضاع التعليم والتربية في العصر الوسيط.

وهناك عوامل مشتركة بين المرحلتين تتمثل في شكلية التعليم ونصية وغياب البعد الإنساني في مختلف المظاهر التربوية في التربية الأسرية كما هو الحال في التربية المؤسساتية. فالأجيال العربية تعيش أكثر حالات الاغتراب التربوي التي تتمثل في إسقاط مطالب الروح والجوهر الإنساني.

والسؤال الذي يطرح نفسه اليوم ماذا تبقى من الإنسان العربي كجوهر إنساني؟

أين هي النزعة الإنسانية التي يمكن أن تعيد للإنسان العربي المقهور بعضاً من إنسانيته المهدورة؟

ألسنا اليوم بحاجة إلى وميض إنساني جديد يبدد الظلام الذي تفرضه الأنظمة التربوية العربية على القلوب والعقول!

أسئلة وأسئلة كثيرة يمكن لنا أن نطرحها في واقعنا التربوي والثقافي في ضوء النزعة الإنسانية وفي ضوء غيرها من الحركات الفكرية التي دفعت العالم إلى قمم حضارية شامخة.

وهذا ما سوف نتناوله بالتفصيل المناسب في النقاط التالية:

أولا: التربية الإنسانية العربية منطلق الهداية والإصلاح لبناء القيم الإنسانية العالمية والتجديد الحضاري:

التربية في سباق مع الحضارة الحديثة، حضارة التكنولوجيا والمعلوماتية، حضارة سلطان الثروة والعنف عن طريق سلطان المعرفة. ويزيد من صعوبة هذا السباق أن الحضارة الحديثة بمقوماتها الجديدة لا تحكم القبض على أعنتها، وأن الزمام فلت من يديها، وكل شيء يوحي إلى أنها توغل في الابتعاد عن القيم الإنسانية، ويتكاثر ما فيها من فساد وإفساد تكاثراً مذهلاً مريعاً.

ومن هنا فإن من الضروري أن يكون للتربية دور في تصحيح مسار الحضارة التي تتلمس الطريقة فلا تستبين لها معالمها كلها، ليس ضرباً من الأمنيات الحلوة، بل هو حاجة موضوعية ييسر قبولها شعور الحضارة نفسها بنقائصها وبحثها عن مخرج لها من أزمتها. وهذا الدور لابد أن يتكامل مع دور سائر مجالات النشاط الاقتصادي والاجتماعي، ولابد أن ينطلق من قبول الحضارة الحديثة وفهمها لا من رفضها والتنكر لها، وذلك بغية الإسهام في إصلاح نقائصها من داخلها وتغيير مجراها من خلال بنيتها نفسها.

وحسب التربية الإنسانية العربية عطاء أن تبعث الأمل لدى الملايين في العالم العربي في إمكان ولادة نظام إنساني جديد، إذا تم السعي سعياً موصولاً جاداً، وإذا أسهمت التربية الإنسانية في العالم وفي البلدان العربية في تكوينه، بل حسب التربية الإنسانية العربية، حين تنطلق في هذا الطريق، أن تكون أداة فعالة لتعبئة

الإنسان العربي تعبئة قومية إنسانية، وأن تجعل منه بعد أن عرف هدفه حامل رسالة، بدلاًً من أن يكون مجرد خائض مع الخائضين، وضائع مع الضائعين.

وقد يبدو الدرب شاقاً، والمزار عسيراً، أمام تجهم الواقع الإنساني العالمي والعربي، غير أن قتام هذا الواقع عينه هو الذي يبيح البحث عن مخرج منه، وهو الذي يجعل دور التربية الإنسانية العربية في بناء القيم الإنسانية دوراً يفرض نفسه ولا بديل عنه وحين نحمل التربية الإنسانية العربية جانباً من العبء العالمي بهذا الشأن فما ذلك إلا لتوافر الإيمان العميق للجميع بأن أرض الرسالات التي انطلقت منها القيم الإنسانية إلى العالم من التاريخ البعيد، ولاسيما بعد ظهور رسالة الإسلام، لابد أن تشرئب من جديد إلى تحقيق معنى وجودها ومحرك سعيها الدائب، وذلك عن طريق الإبحار، كرة أخرى، شطر المشاركة الفعالة في توليد القيم الإنسانية التي تستلزمها طبيعة العصر.

وسعياً لمواجهة هذا العبء الجديد، نرى- من وجهة نظرنا أنه- من الضروري الانطلاق من عدد من المبادئ الحاكمة، لاستئناف مسيرة الحوار الودي بالتي هي أحسن بين الحضارتين الغربية، والعربية الإسلامية، والتنبيه إلى عدد من الحقائق الكبرى المتعلقة بالحضارات ونموها وحركاتها، وفي مقدمتها الأمور الآتية:

أولها: إن الحضارات، كل الحضارات، ليست كيانات نهائية ساكنة أو جامدة، وإنما هي كائنات حية متحركة. وجوهر هذه الحركة محاولة الاستجابة للتغيرات الحادة التي تمر بها الحياة الإنسانية، طوراً بعد طور، والتي بلغت سرعتها النسبية مبلغاً غير مسبوق، وذلك بسبب الثورات العلمية والتقنية المتواصلة.

ثانيهما: إن هناك، في داخل كل حضارة مفارقة كبيرة، أو صغيرة، بين الأطر الفكرية والقيمية لكل حضارة، وبين السلوك العملي لأتباع تلك الحضارة. وهي مفارقة تصنعها الطبيعة الإنسانية ذاتها، وإنفراد "الإنسان" بحرية القبول أو الرفض لكل عناصر الثقافة الذاتية، أو لبعضها. ومن ثم لم يعد الفرد العربي المسلم معبراً بالضرورة عن قيم الإسلام ومبادئه أو تقاليد العروبة التي حدثتنا عنها وقائع التاريخ القديم ولم يعد "الغربي" هو الآخر ممثلاً أميناً للقيم الكبرى التي قامت عليها الحضارة الغربية في صورتها المثالية، قيم الحرية والعقلانية وإعلاء قيمة الإنسان. ومن ثم وجب دائماً التمييز بين المستوى الفكري والنظري والمستوى المجتمعي الواقعي عند محاولة فهم الحضارة الأخرى أو تقييمها.

ثالثهما: إنه يوجد في إطار كل حضارة "تيار واسع عريض" هو المشخص لها، والمعبر عنها، وعلى جانبيه تظهر تيارات هامشية، أو ثقافات تحتية جانبية قد يصل ابتعادها عن التيار الواسع العريض إلى حد المفارقة التامة والتناقض، وأنه لا يجوز الخلط بين "التيار الأساسي الواسع"، وبين واحد أو أكثر من التيارات الجانبية. ذلك أن التناقضات الكبرى لا تظهر عادة بين "التيارات الأساسية" للحضارات المختلفة، ولكنها تظهر بدرجة عالية من الحدة بين التيارات الهامشية والجانبية في الحضارات المختلفة.

رابعهما: ضرورة التسليم بمبدأ "المساواة" بين الحضارات، فلا توجد حضارة واحدة مهما بلغ اعتداد أصحابها واعتزازهم بها، يمكن الزعم باحتكارها لعناصر الرشد والعطاء في بناء الثقافة الإنسانية، أو الزعم بإمكان استغنائها عن "الآخرين" في مسيرتها نحو المستقبل. والحقيقة التاريخية هي وقوع التفاعل وتبادل الأخذ والعطاء بين الحضارات الإنسانية التي تعاصرت على امتداد الحقب التاريخية المختلفة. إن دعاوي الاستعلاء

الحضاري قد كان- عبر التاريخ- أحد الأسباب الرئيسة للتباعد والصراع، وما لم يقع التسليم بالمساواة والندية التي توجب الاحترام المتبادل، فلن يؤتي الحوار ثمرته المرجوة في تحقيق التعايش والتعاون، ودرء المواجهة والصراع. في إطار هذه المبادئ الحاكمة يحتاج مشروع "تصحيح صورة العرب والمسلمين" في العقل والوجدان الغربي إلى ما يلي:

[1] محاصرة الدعوة إلى "العزلة الثقافية" داخل المجتمعات العربية والإسلامية، والتوجه، بغير إبطاء، إلى ممارسة ثقافة "التواصل الإنساني النشط مع الآخر الحضاري". ذلك أن هذه العزلة هي المسئولة عن غياب الصوت العربي والصوت المسلم من الساحة الإعلامية والثقافية في الغرب. وهو غياب زاد من خطورته أن أطرافاً أخرى، قد استثمرته في إيجاد صورة بالغة السوء والسلبية لكل ما هو عربي أو إسلامي، حتى أوشكت هذه الصورة السيئة أن تكون عنصراً ثابتاً ومستقراً في العقل الغربي، وعلى أساسها تحددت مواقف كثير من الناس في الغرب من العرب والمسلمين.

لقد ضاعت- خلال سنوات طويلة- فرص كبيرة لتصحيح صور العرب والمسلمين عند الآخرين، وهي ذات السنوات التي تعاظم فيها دور الإعلام وتأثيره على العقول والمشاعر، ولكن الخيار الوحيد المتاح الآن هو الخروج السريع من العزلة، ومعاودة "الحضور" و "الظهور" على ساحة الآخرين في الغرب.

[2] مراجعة الخطاب السياسي والثقافي والإعلامي في العالمين العربي والإسلامي مراجعة تؤكد على المعاني الآتية:

(أ) التوقف عن تصوير "الغرب" بأنه عدو للعرب والمسلمين، وملاحظة أن كلمة "الغرب" كلمة عامة وخالية من كل تحديد وتكاد تكشف عن موقف عاطفي غير علمي ولا مدروس، ذلك أن استعداء الغرب على هذا النحو لابد أن يقابله رد فعل مماثل يصور العرب والمسلمين ويتصورهم على أنهم هم "العدو".

(ب) تجنب المبالغة في إبراز الفوارق الثقافية بين الحضارة الغربية والحضارة العربية والإسلامية، والتركيز بدلاً من ذلك على العناصر المشتركة بين الحضارتين، وهي كثيرة، وأهمها:

- أن الحضارتين من الحضارات الإيمانية ذلك أن المسيحية تكون، تاريخياً وفعلياً، عنصراً روحياً أساسيا في الحضارة الغربية إلى جانب المكون "العقلي" المستمد تاريخياً، من الفلسفة اليونانية. والحضارة العربية الإسلامية، بدورها، حضارة إيمانية بحكم الدور الهائل الذي يؤديه الإسلام، في تحديد "مكونات" الثقافة العربية الإسلامية حتى بالنسبة للمسيحيين العرب.
- أن الحضارتين تنظران "للإنسان" نظرة خاصة جوهرها التكريم الشديد باعتبار "الإنسان" خليفة الله في الأرض حامل رسالة العدل والحب والسلام، وباعتباره، "بالعقل" والإرادة، مخلوق الله المختار، (خلافاً لفكرة شعب الله المختار التي لا تخلو من نزعة عنصرية) وهذا التكريم له آثاره الكبيرة على "منظومة القيم الإنسانية" في الحضارتين، خصوصاً ما يتعلق منها بحقوق الإنسان الفرد وحرياته المدنية والسياسية.
- أن الحضارتين عالميتان وليستا قاصرتين على شعب أو قومية واحدة، فكما اتسع الإسلام لشعوب مختلفة الجنس واللون واللغة والقومية اتسعت الحضارة الغربية، خصوصاً في أوروبا، لشعوب، وقوميات مختلفة.

- أن فكرة "العدل الإنساني" فكرة محورية وأساسية في الحضارتين، ولهذه الفكرة مظاهر وتجليات عملية عديدة تظهر في التشريع وفي علاقة الدول والحكومات بالأفراد، ويتفرع عنها مبدأ "المساواة"، ومبدأ "سيادة القانون" الذي يكفل حماية متساوية لجميع الأفراد.
- أن فكرة "المشاركة الإنسانية" في القرارات التي تمس الجماعة هي الأخرى فكرة محورية وأساسية تمثلت في مبدأ "الشورى الإسلامي، وفي المبدأ الديمقراطي الذي آل إليه الأمر في الفكر وفي الحياة السياسية في الغرب.

(ج) تصحيح الرؤية التاريخية للآخر الحضاري، ويتصل بهذا الأمر من الجانب العربي والإسلامي، إزالة الفهم الخاطئ عن طريقة انتشار الإسلام ووصوله إلى أوروبا وغرب إفريقيا ووسطها، فضلاً عن آسيا بدولها التي تضم اليوم أغلبية المسلمين.

(د) التركيز على بعض القيم الإنسانية الإسلامية الأساسية التي لم يتم التعبير عنها بشكل كاف ولا علمي بصفة خاصة في الخطاب السياسي والإعلامي ومنها:

- قيمة الرحمة الإنسانية "الراحمون يرحمهم الرحمن" من لا يَرحم لا يُرحم".
- قيمة التسامح والعفو الإنساني "وأن تعفوا خير لكم"- "والعافين عن الناس".
- قيمة السلام مع الآخر الإنساني- "ولا تقولوا لمن ألقي إليكم السلام لست مؤمناً"- "وإن جنحوا للسلم فاجنح لها"، حتى إن السلام اسم من أسماء الله واسم الجنة في القرآن "دار السلام".
- حرمة الدماء وقدسيتها، وتحريم العدوان عليها: "أيها الناس إن دماءكم وأعراضكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في عامكم هذا".
- احترام حرية الاعتقاد احتراما مطلقاً: "لا إكراه في الدين"- "أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين".
- احترام حرية التعبير والتشجيع على ممارستها وتأمين الممارسين لها: "ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه"- "الساكت عن الحق شيطان أخرس"- "ولا يضار كاتب ولا شهيد" (أي شاهد).

[3] العمل السريع من خلال آليات فعالة لتصحيح صورة العرب والمسلمين في إطار الضوابط الموضوعة السابقة:

(أ) إعادة تقييم ما تقدمه القنوات الفضائية وشبكات الإرسال التليفزيوني والإذاعي، من مواد إعلامية وإخبارية وثقافية عن العرب والمسلمين.. وتخصيص قناة فضائية تتحدث بلغات أجنبية إلى العالم الغربي، بدلاً من أسلوب "مخاطبة الذات" محلياً، ومن الضروري أن يشارك في تحديد مضمون الرسائل الإعلامية الموجهة للغرب متخصصون في الثقافة العربية والإسلامية، ومتخصصون في الإعلام بكافة أنواعه وفنونه وأدواته.

(ب) الدعوة من خلال الوزارات المتناظرة والمسئولة عن التربية والتعليم والثقافة إلى مراجعة المواد التعليمية والإعلامية التي تتحدث عن العرب والمسلمين في الغرب، وتلك التي تتحدث عن الثقافة الغربية وعن الغرب عموماً في الدول العربية الإسلامية، وذلك بقصد تذويب حالة "الاستقطاب غير الودي" وإيجاد حالة جديدة من الشعور بالمسئولية وبوجود مساحة كبيرة مشتركة تيسر للتعاون والتواصل، ويدخل في ذلك استبعاد "المواد الإعلامية والتعليمية" التي تشوه صورة العرب والمسلمين أو تسيء إليهم أو تصورهم على نحو آخر بما يوجد

حالة عداء، وإحساس متبادل بالغربة والاختلاف الشديد، ويتمم هذا- بطبيعة الحال- تنقية الكتب المدرسية والمواد الثقافية الصادرة عن الدولة، وعن أجهزة الإعلام من أي بيانات من شأنها إثارة العداوة بين أتباع الحضارتين أو تصويرهما كما لو كانا نقيضين لا يلتقيان، ولا سبيل للتعاون بينهما.

(ج) إنشاء إدارة خاصة بالجامعة العربية لمتابعة نشاط الجاليات العربية في أوروبا والولايات المتحدة وتشجيع تلك الجاليات ومساعدتها فيما قد تحتاج إليه من عون في سبيل التواصل مع العناصر الفعالة في المجتمعات التي تعيش فيها. وتزويدها بالمعلومات عن الجمعيات والهيئات الصديقة في كل بلد أوروبي أو في الولايات المتحدة ومعلومات مماثلة عن الجمعيات والهيئات المناهضة والتي تعمل على تشويه صورة العرب والمسلمين أو تستعدي عليهم السلطات في الدول المختلفة حتى تتولى الجاليات العربية والإسلامية الرد على ما تثيره تلك الجمعيات والهيئات من شكوك وشائعات أو معلومات خاطئة عن العرب والمسلمين أو عن الإسلام وحضارته الإنسانية. ويتصل بذلك تزويد الجاليات العربية والإسلامية، والمنظمات التي تعمل باسم تلك الجاليات بأسماء المتخصصين من الباحثين والأساتذة القادرين على تلبية الدعوة للحوار مع نظرائهم في البلدان الأوروبية والغربية بصفة خاصة.

ويظل صحيحاً بعد ذلك كله، بل قبله أن نقطة الانطلاق الأساسية لا تتمثل في السعي لتحسين صورة المسلمين فحسب، وإنما لابد أن تمتد إلى إصلاح أحوال العرب والمسلمين، إذ هذا الإصلاح هو الرد الأكثر إقناعاً والوسيلة الأكثر فاعلية في الرد على ما يثار حول العرب والمسلمين من شكوك وما يوجه إليهم ظلماً وتجنياً من اتهامات... وتلك قضية تتصل بما تم ذكره عن ضرورة إعادة النظر في الخطاب السياسي والثقافي والديني في الدول العربية والإسلامية.

ومن هذا المنطلق وبعيداً عن كل ممانعة ثقافية، يرتبط المستقبل للأمة الإسلامية بالجهود التي يبذلها أبناؤها في اتجاهين اثنين: الحفاظ على الهوية الثقافية والحضارية والتأسيس لنهضة تربوية ثقافية تهدف إلى تجديد البناء الحضاري للعالم الإسلامي على القواعد التربوية والعلمية والثقافية.

وتأسيساً على ما تقدم يمكن استنتاج الأسئلة المصيرية التي تطرحها هذه المرحلة التاريخية الصعبة بهجماتها وتحدياتها وصراعاتها أنها أكثر من أن تحصى، ولكن السؤال الجامع الذي يفرض نفسه في هذا المقام، هو: كيف يمكن للتربية العربية أن تواكب هذا المد الحضاري المذهل؟ وكيف يمكنها أن تتمثل روح العصر وتنطلق بالإنسان العربي والمجتمع نحو آفاق إنسانية حضارية حرة ومعطاءة؟

ولكن قبل الخوض في دور التربية وما يمكن أن تضطلع به في المجتمعات العربية، لابد من الإشارة إلى أن الاهتمام بقضية التربية وفلسفتها أمر يجب الاهتمام به كعملية مستمرة، ونشاط لا يتوقف وبحيث تكون العملية التربوية قادرة على مواكبة وتلمس جميع التطورات والتغيرات التي تصيب المجتمع وما يترتب عليها من أزمات أو مشكلات، ولا يجوز أن يكون الاهتمام بالتربية اهتماما موسميا مقرونا بمناسبة معينة أو بحدوث أزمة أو خلل في مجتمع ما، ومن الطبيعي أن تواجه المجتمعات في مسيرة حياتها مشكلات وتحديات كثيرة يتطلب مواجهتها نوعاً من التجديد في الأفكار والتطوير في البرامج، والتحديث في المناهج والأساليب، وخاصة وأن المجتمعات العربية تواجه الاقتحام السريع للعولمة الذي يصاحبه تعولم الأسواق والثقافات والمعلومات، فإذا لم

تسرع المجتمعات لمواجهة حركة التغيير وتمسكت بما اعتادت عليه وألفته من أنماط وأساليب حياة فلن تصمد في وجه التحديات وسوف تعرقل مسيرتها المشكلات والأزمات، ولذا فإن المجتمعات العربية تشعر اليوم وأكثر من أي وقت مضى بالقلق بسبب بطئها وعجزها وعدم قدرتها على التنافس بسبب ضعف البنية التحتية الثقافية، والافتقار إلى الموارد التنظيمية والموارد البشرية المؤهلة، والرأسمالية الضرورية للمنافسة العادلة مع المجتمعات الأخرى، ومن هنا يغدو حجم الاستعداد والجهد الذي ينبغي عمله كبيراً جداً من أجل التساوي في البيئة الممكنة للدولة كافة قبل المضي في عملية العولمة.

ومن ثم يثور السؤال ما وضع التربية في العالم العربي وما إمكانياتها في النهوض بالمهمة لإحداث التغيير والتكيف مع استحقاقات العولمة؟

ثانياً: السمات العامة للتربية العربية:

يمكن القول بأن الأنظمة التربوية في جميع الدول العربية متشابهة إلى حد كبير ومن ثم فإن السمات العامة للتربية العربية تتلخص فيما يلي:

1. اقتصار الجهود التربوية أو توجيه معظمها نحو التربية النظامية المؤسساتية، وإهمال برامج التربية غير النظامية وعائدها الإنمائي.
2. أحادية التوجه الكمي أو إتباع إستراتيجية النمو الكمي للتعليم على حساب نوعيته.
3. اقتصار التعليم على العمل المدرسي المعزول عن حياة المجتمع وواقعه.
4. إتباع مناهج رسمية ومركزية جادة، مع التركيز على استخدام الكتب المقررة نفسها في جميع المدارس، وعدم توفير المرونة للمعلم في اختيار ما هو ملائم لقدرات الطلبة واحتياجاتهم واهتماماتهم.
5. تعاني التربية من إشكالية إعادة إنتاج عنصر الأزمة التي يعاني منها الفكر العربي والثقافة العربية بسبب الافتقار إلى الفلسفة التربوية، وضعف التحصيل الدراسي لدى الطلبة.
6. تركز معظم الأنظمة التربوية في العالم العربي على تعليم الطلبة النظام والطاعة المطلقة، ثم القراءة والكتابة، عن طريق التعليم، وتعليم الطلبة ضرورة المحافظة على قيم ومعايير المجتمع التي من شأنها ترسيخ الوضع القائم.
7. تقوم فلسفة التربية في معظم البلاد العربية على أساس أن التعليم يجب أن يخدم التنمية، بمعنى أن يكون هناك ربط بين مخرجات التعليم وسد حاجات المجتمع من الموارد البشرية، ولذلك يصبح هدف التعليم الأساسي هو توفير الكوادر للقيام بالوظائف والمهن التي يحتاجها المجتمع، وبالتالي فإن ذلك ينعكس على إهمال التربية لقضية الربط بين التعليم والثقافة والمعرفة والفكر ومتطلبات عملية التغيير الاجتماعي.
8. ما زالت التربية بعيدة عن الوظائف الأساسية للتربية وهي الإسهام في التغيير والتجديد النوعي، ونشر القيم الإنسانية الديمقراطية والعدالة والحرية والمساواة والتفكير المستقل وحرية الرأي والتعبير، إذ أن التربية العربية تسعى إلى التركيز على الطاعة المطلقة، والمحافظة على ما هو قائم مع قليل من التغيير.

وفي ظل هذه الظروف تتحول المدرسة إلى مجتمع أبوي يشبه إلى حد كبير مجتمع العائلة التقليدي، حيث يسود احترام السلطة الهرمية الأمر الذي يؤدي إلى تفشي أخلاق الطاعة والخضوع، وإيثار التقليد على

التجديد ويؤدي إلى إصابة المجتمع بالعجز عن دخول الثورة العلمية والمشاركة الخلاقة المبدعة فيها، ويشير هذا الوضع إلى وجود مؤشرين على الإخفاق التعليمي في العالم العربي مؤشر كمي وآخر نوعي، يتصل المؤشر الكمي بالعجز عن تحويل التعليم في المجتمعات العربية المعاصرة إلى حق عام، وقصوره عن شمول كافة الفئات الاجتماعية الشابة والناشئة، وانحصاره في مجال اجتماعي محدود، أما المؤشر النوعي فيتعلق بفقر محتوى برنامج التكوين التعليمي وقصوره عن الإجابة عن الحاجات المعرفية والعلمية، والناجم عن ذلك تخريج أفواج متلاحقة من أنصاف المعلمين ممن لا تستفيد من طاقاتهم المتواصلة مؤسسات الإنتاج المادي والمعرفي.

إذن التربية السائدة في البلاد العربية أو النظم التربوية السائدة في البلاد العربية مازالت غير مواكبة لمسيرة التقدم العلمي التي تسارعت في العالم بصورة مذهلة في العقود الثلاثة الأخيرة، وأدت إلى تطوير ميدان التربية لكي تنسجم وتتلاءم مع ما أصاب جميع مناحي الحياة الأخرى من تطور، فقد حصل التغيير بشكل جوهري في هياكل التربية وإدارتها والقائمين عليها وطلبتها وشهاداتها وتمويلها، وإذا كانت التربية ما زالت تراوح مكانها على الرغم من كل التطورات التي شهدها العالم فكيف يمكن لهذه التربية أن تواجه المستقبل وتتعايش معه.

ومن هذا المنطلق يعد دور التربية وما يمكن أن تضطلع به في تأهيل المجتمع والأفراد أمراً مهماً وضرورياً لبيان كيف يمكن النهوض بالمجتمع، وتغيره بالاتجاه المطلوب لمواكبة التطورات والتغيرات المفروضة على مجتمعاتنا العربية، ويثور السؤال مرة أخرى هل بإمكان التربية أن تحدث التغيير الاجتماعي والقيمي، وهل للتربية ذلك التأثير في القيم الاجتماعية والوجود الاجتماعي الذي يؤهل المجتمع للانطلاق نحو أهدافه وغاياته الحضارية للخروج من النفق المظلم أو المحنة التي يعيشها؟

ثالثاً: التربية الإنسانية وإمكانية تنوير المجتمع:

هناك اجتهادات كثيرة واتجاهات متعددة حول دور التربية الإنسانية وإمكانية تنوير وتغيير المجتمع، ومع أن التربويين يقرون بأن التربية هي الحياة، إلا أن هناك اختلافاً لدى المتخصصين حول إمكانية تنوير وتغيير المجتمع والدور الذي يمكن أن تقوم به التربية في هذا المجال.

(أ) هناك اتجاه يذهب إلى القول بأن التربية هي الوحيدة القادرة على بناء المجتمع وعلى تنويره وتغييره، وأن التربية الإنسانية التي تفعل فعلها في الطفولة هي التي يمكن أن تنقذ العالم، وليس الاقتصاد والسياسة، ويؤكد أصحاب هذا الاتجاه على أولوية التربية الإنسانية أي القدرة الذاتية على تحديد الهيئات والمؤسسات التي تكونها، مؤيداً إن مجتمع الغد إما أن تصنعه المدرسة وإما ألا يكون وأن التربية الإنسانية شرط لازم لكل ثورة مهما يكن شأنها.

(ب) أما الاتجاه الثاني فيرى أن التربية عاجزة عن تنوير وتغيير المجتمع، وأن القول الجازم بدور التربية الأساسي والوحيد في تنوير وتغيير المجتمع قول فيه الكثير من تبسيط الأمور، وفيه تجاهل لخطورة الأزمات الاجتماعية وتعقدها وتشابكها، وينطلق أصحاب هذا الاتجاه من مقولة أساسية هي أن الدولة (المجتمع) هي التي تحدد للمدرسة أهدافها، وليست المدرسة هي التي تحدد أهداف الدولة، ولذا يرى بعض أصحاب هذا الاتجاه أن التربية عاجزة عن تنوير وتغيير المجتمع، ولا يمكن أن ينبثق من المدرسة نظام من الغايات قادر على

أن يصمد أمام الأيديولوجيا السائدة أو أمام القوة الضاغطة التي تتمتع بها، ومن هنا فإن الأولوية يجب أن تمنح لقلب تلك البنى الاجتماعية أولاً.

(ج) والاتجاه الثالث هو توفيقي يقف بين الاتجاهين السابقين موقفاً وسطاً، حيث يرى أن التربية تعبر عن المجتمع والمجتمع يعبر عن التربية ويستند أصحاب هذا الرأي على الأفكار التالية:

- إن التربية لوحدها تعجز عن تنوير وتغيير المجتمع، وإنما يجب أن تضاف إلى جهودها جهود سائر ميادين الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية وغيرها، لأن التربية نظام فرعي يرتبط بنظام شامل وكلي والتنوير والتغيير الكلي يستلزم العمل المتوازن والمترابط على تغيير مقومات المجتمع كلها.
- إن دور التربية في التنوير والتغيير يحتل مقام الصدارة، لأنه ينطلق أصلاً من تنوير الإنسان صانع التغيير، وتغيير الإنسان وتطويره وتنميته شرط لازم لأي تغيير اجتماعي، بالإضافة إلى أنه هدف بحد ذاته.
- في الوقت الذي تلح الحاجة فيه إلى ربط التربية الإنسانية بحاجات التنمية وإعداد القوى العاملة اللازمة لعملية التنمية في الميادين الاقتصادية والاجتماعية تؤدي التربية الإنسانية دوراً أساسياً في تحقيق هذه التنمية بالمعنى الواسع للكلمة.
- ويؤكد هذا الرأي التوفيقي على الإيمان بدور التربية الكبير في تنوير وتغيير المجتمع دون أن يغفل ترابط هذا الدور مع الأدوار التي ينبغي أن تضطلع بها سائر ميادين الحياة الاجتماعية.

من منطلق أنه توجد علاقة ارتباط مباشرة أو غير مباشرة بين التغيرات في البيئة الاجتماعية والاقتصادية والبيئات التربوية وأنواع النشاط التربوي وأن التربية نظراً للمعلومات التي يمكن أن تقدمها عن البيئة التي تحتضنها، تساعد المجتمع في إدراك مشكلاته الخاصة، وتساهم في تغيير المجتمعات.

ونخلص في ذلك إلى أن العلاقة بين التربية التنويرية وتغيير المجتمع هي علاقة متشابكة ومترابطة، فغايات التربية وأهدافها لا تصنع في فراغ، ولا تنطلق من فراغ وإنما هي منبثقة من واقع الحياة الاجتماعية والقيم الثقافية السائدة في المجتمع، وأن دور التربية التنويرية الإنسانية في بناء المجتمع وتغييره أمر لا يمكن الاستهانة به أو التقليل من شأنه، وبالتالي فإن دور التربية التنويرية الإنسانية يشكل دوراً أساسياً في مواجهة العولمة، والتعرف على آلياتها من أجل إعداد الإنسان القادر على بناء الغد المقبل من خلال تكوين الأجيال التي تملك المهارات والكفاءات والمهارات المسلحة بالمعلومات للتعامل مع ظاهرة العولمة بأبعادها وتأثيراتها تعاملاً يتسم بالموضوعية والنقد البناء، فالتربية التنويرية الإنسانية هي "رصيد المستقبل وأداة قوية لأنها إحدى الأدوات الأساسية الفعالة القادرة على إحداث التغيير المنشود، وهذا يفرض عليها بوجه خاص أن تعيد التفكير في شكل تنظيمها للمعرفة وأن تمحو الحواجز التقليدية التي تقوم بين ميادين المعرفة المختلفة، وأن تصل ما انقطع لحمه بين شتى المعارف.

رابعاً: البناء التربوي للنزعة الإنسانية في التربية العربية المعاصرة:

انطلاقاً من مواجهة جميع التحديدات الراهنة والمستقبلية التي تفرضها الثورة الشاملة "ثورة العولمة" ينبغي ألا يبقى العرب خارج العصر وخارج التاريخ، ولا يجوز أن تبقى النظرة العربية إلى العولمة نظرة أحادية الجانب تتصف بالرفض الكامل أو القبول الكامل لها، ومن أجل الإعداد لمواجهة هذه التحديات في مطلع القرن الواحد والعشرين ومن أجل حماية الحضارة العربية الإسلامية وضمان انفتاحها على الحضارات العالمية، فإن الدور الكبير الذي يمكن أن تقوم به التربية بالتعاون مع سائر النشاطات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وغيرها، باعتبارها الركيزة الأساسية في إعداد الناشئة والأجيال للمستقبل، وباعتبار أن هدفها الأساسي يجب أن يكون إيجاد عالم قادر على أن يستجيب لحاجات الإنسان حاضراً ومستقبلاً، حيث إن التربية تهدف إلى تيسير الحصول على المعرفة، والمعرفة هي أداة لتحرير الإنسان من الجهل وجعله معتمداً على نفسه قادراً على تكوين أحكامه، واختيار ما يناسبه من الوظائف بالإضافة إلى ما تسهم به التربية من التغيير وخلق روح القدرة على التغيير، وما لذلك من نتائج تؤدي إلى توفير بيئة اجتماعية وثقافية صحية تضمن صون حقوق الإنسان في العيش بحرية وأمن واستقرار.

ومن خلال تناولنا لواقع التربية في العالم العربي وحجم المشكلات التي تعاني منها الأنظمة التربوية العربية والعقبات التي تحول بينها وبين مهمتها في إحداث التنوير والتغيير، لدرجة أن التربية بواقعها الراهن يمكن أن تكون مصدر خطر حقيقي على الوجود العربي، إذ كيف يكون بمقدور هكذا تربية مواجهة التحديات الجسيمة المفروضة على المجتمعات العربية؟ ومن هنا فإن السؤال الذي يطرح نفسه: هو كيف يمكن للتربية العربية أن تتصدى لهذه المهمة الكبيرة؟ وما معالم التربية الإنسانية المنشودة في العالم العربي لبناء عالم إنساني متوازن يحقق الهداية والعدل والمساواة والسلام والمحبة لجميع شعوب الأرض؟

وللإجابة على هذا السؤال الصعب- والتي ليست من السهولة- يمكن تقديم بعض الأفكار حول كيفية الوصول إلى نهضة إسلامية من خلال تربية إنسانية عربية جديدة تحقق إنسانية الإنسان تنطلق من حقائق الدراسة الحالية والعالم القائم، وباعتبار أن الواقع الذي يعيشه المجتمع العربي مهما كان سيئاً فإنه ليس

حتمية ثابتة، بل هو نتاج أسباب وعوامل يمكن أن تتغير وتتبدل والفرصة أمام الإنسان متاحة لذلك التغيير، فالتخلف الذي يعيشه المجتمع العربي ليس ظاهرة حتمية أو ظاهرة أصلية، فليست نهاية التاريخ ولا صراع الحضارات حتماً محتوماً.

ومن هذا المنطلق فإن التربية الإنسانية في المجتمعات العربية مدعوة إلى إحداث تغييرات جذرية في بيئتها وفي مضمونها الاجتماعي والأخلاقي والاقتصادي من أجل التهيؤ والاستعداد لاحتمالات المستقبل ومفاجآته التي لا حصر لها، والتي لم يعد من الممكن مواجهتها بالأساليب التقليدية التي لم يعد لها مكان في عالم يتغير باستمرار وتسارع كبير، وفي سبيل تحقيق هذه النقلة الجوهرية للخروج من دائرة التخلف والماضي إلى عالم النور والحضارة والمستقبل، وبناء الغد الأفضل للأجيال القادمة يمكن إبراز بعض المقترحات التي يمكن أن تسهم في تطوير التربية الإنسانية العربية، بما يتلاءم مع متطلبات العصر:

[1] العمل على بناء نظام تربوي إنساني يقوم على أساس ترسيخ التعلم الذاتي، وتهيئة الفرصة أمام الأجيال لإعداد مستمر ومتواصل ومتغير مدى الحياة وذلك بما يلبي حاجات المجتمع وأسواق العمل والتي عادة ما تكون في تغير مستمر، فالتطور السريع يستدعي أن يتاح لجميع قطاعات المجتمع باستمرار التعليم لمواكبة ذلك التطور والتكيف معه، والاهتمام بتكوين المواقف والاتجاهات والمهارات والمعارف الأساسية التي يمكنها استيعاب كل ما هو جديد في العلم والثقافة وسوق العمل في المستقبل، هذا بالإضافة إلى تحديث الإنسان وجعله قادراً على بناء المعرفة وتوظيفها، ومن ثم تنظيمها من أجل الوصول إليها في الوقت الملائم أو عند الحاجة، وهذا شرط هام من شروط تقدم المجتمع.

[2] التركيز على قضية النقد والقدرة على ممارسته، وخاصة تكوين الفكر الناقد والنقد الذاتي والنقد البناء، الذي يجعل الإنسان يتسلح بروح النقد الحر والبحث عن حقائق الأشياء، والتي يمكن من خلالها تمييز الحق من الباطل وتشخيص مواطن الضعف والخلل ومعرفتها ومن ثم العمل على المراجعة الذاتية دائماً لتصحيح أو إصلاح هذه الأخطاء، وكذلك فإن غرس روح التفكير النقدي عن طريق التدريب الطلبة على مناهج اكتساب المعرفة وأساليب البحث العلمي السليم يؤدي إلى الإبداع وعدم أخذ الأمور كمسلمات ورفض

الأحكام المطلقة، ومحاربة الخرافات والأساطير، إضافة إلى ما يولده الفكر النقدي من القدرة على الحوار وخلق روح التسامح والابتعاد عن العصبية والتعصب.

[3] الاهتمام بحركة تواصل الحضارات الإنسانية المعاصرة في بعدها الشامل، واستطلاع ما يحدث في العالم الآخر من تطور والعمل على فهمه واستيعابه، بما يؤهل الأجيال في البلاد العربية للتكيف مع حركة الزمن وتطورات الحياة، ومن هنا يجب أن تتاح الظروف المناسبة لممارسة الأسلوب العلمي في البحث والتفكير واكتساب المهارات العلمية لاستخدام تكنولوجيا العصر، فالتربية الإنسانية العربية مطالبة بجعل التجربة العالمية في ميادين المعرفة والثقافة والاقتصاد والإعلام والاتصال جزءاً من مناهجها، وخاصة في ميادين التقنيات الإلكترونية التي أصبحت جزءاً من الحياة العلمية والاقتصادية والثقافية على مستوى العالم، والعمل على المشاركة في حمل لواء المدنية والحضارة الإنسانية في الحاضر والمستقبل اعتماداً على منهجية علمية متكاملة مستقبلية بعيداً عن الجمود الزمني وهواجس الماضي.

[4] محاولة فهم الثقافة الإنسانية العربية الإسلامية فهماً حديثاً وقراءتها من جديد قراءة واعية متأنية واسعة الأفق، والابتعاد عن نزعة الرجوع الحرفي إلى الماضي، فمهمة التربية العربية اليوم هي تكوين فكر نقدي حر قادر على أن يترجم الثقافة الإنسانية العربية الإسلامية إلى لغة العصر، بحيث تقوم حملة متكاملة بين هذه الثقافة في شتى مجالاتها وبين ما يتلقاه المتعلم من أحدث ما وصلت إليه العلوم والمعرفة والثقافة، لقد آن للنظام التربوي العربي حقا أن يهجر التقليد، تقليد النموذج التربوي العربي، وآن له في مقابل ذلك أن يولد نظاماً تربوياً عربي الوجه واليد واللسان والقلب والروح، إنساني الرؤى، جديداً في أصالته، أصيلاً في جديده، فالتجديد كل لا يتجزأ، إنه يعني في آن واحد تجديد التربية التقليدية كي تلتقي بجديد العالم، وتجديد حصاد التربية الحديثة، وهو الدفقة الحضارية التي تقدمها الثقافة العربية الإسلامية للعالم ولمستقبله.

[5] العمل على تعزيز القيم الإنسانية الديمقراطية وحقوق الإنسان وحرية الرأي والإبداع والابتكار التفكير وتقبل واحترام الآخرين وتحرير المجتمع من الجهل والمرض والفقر، بحيث يتاح للجميع الحق في إبداء الرأي بحرية والمشاركة الفعالة ضمن الوسائل السليمة في صنع القرار، الأمر الذي يؤدي بالمحصلة إلى قيام كل فرد بدوره في

بناء المجتمع وتنميته والمساهمة في إحداث التغيير المنشود بدون رهبة أو خوف، فالحرية التنويرية هي المنطلق الحقيقي لبناء المستقبل ومواجهة ما يفرضه من مفاجآت وتحديات، كما أن الحرية واحترام كرامة الإنسان هي من العناصر المهمة التي تسهم في خلق روح الإبداع والتفكير السليم.

[6] التركيز على أهمية التنظيم والإدارة ودورهما في استخدام الموارد البشرية والمادية بشكل سليم، فقد أصبح للتنظيم أهمية خاصة في الثورة العلمية التعاونية من أجل إحكام الهيكل التنظيمي لمؤسسات الإنتاج، واستخدام التقنيات الإدارية الحديثة، وتنظيم العمل. والتنظيم يتضمن احترام النظام والتعود على الانضباط، كما أنه يؤدي إلى توليد الإبداع، وللتربية الإنسانية دور مهم في تكوين روح الانتظام والتنظيم في أعماق الأجيال، بحيث يتولد لديهم الاقتناع والإيمان به، إن التربية العربية اليوم أحوج ما تكون إلى مراجعة نقدية شاملة في فلسفتها وأهدافها ومناهجها وطرق عملها، وإن ما يطرح من اقتراحات حول دور التربية في تنوير وتغيير المجتمع وإعادة بناء الإنسان يبدو مهمة صعبة وشاقة لابد أن تتصدى لها التربية الإنسانية بمعناها الشامل وليست التربية النظامية وحدها، فهذه مهمة يجب أن تقوم بها كل مؤسسات التربية والتنشئة والمدرسة والمؤسسات الثقافية، وكل أنواع التعليم النظامي وغير النظامي والمستمر بحيث تتكاتف جهود الجميع للاضطلاع بهذا الدور الكبير.

[7] حين ندعو التربية بوجه عام، والتربية الإنسانية العربية معها، إلى أن تسهم في توليد هذا العالم الإنساني المنشود، فإننا لا نعني بذلك فقط أن نضطلع بهذه المهمة- في نظرنا- من خلال مجرد غرس القيم الأخلاقية والمبادئ الإنسانية في مناهجها وممارساتها اليومية، بل نعني- كما يتضح من تناولنا لصفات التربية المستقبلية- أن تعمل التربية على تكوين إنسان قادر بنفسه على اكتشاف القيم الأخلاقية والإنسانية والدفاع عنها وإغنائها، وعلى بنائها بناء جديداً، وعلى نقدها وتصحيح مسيرتها، وذلك بفضل ما اكتسبه من بنية نفسية وعقلية وروحية تكشف له أعماق الأمور، ومن تكوين ناقد ومبدع، يتخذ من الشك سبيله إلى اليقين، ومن النسبية إلى فهم الكون، ومن "معرفة المعرفة" سبيله إلى المعرفة الحقة.

ومجمل القول، إن الإنسان الذي ينبغي أن تجهد التربية العربية لتكوينه من أجل المستقبل، هو الإنسان المستقل، لا الإنسان التابع الإمعة. ودون ذلك دون شك أهوال وأهوال. ومن حسن حظ التربية

الإنسانية العربية أنها تستطيع أن تستعين في مهمتها الشاقة هذه بتراثها الغني وقيمها الإنسانية الكبرى. غير أن هذا بدوره يستلزم أن تكون عناية التربية بالثقافة والتراث عناية مستقبلية نقدية واعية، من شأنها أن تولد جيلاً قادراً- من خلال تجديد التراث وإحيائه- على أن يجعل من فهمه الحي له، جوهر سعيه من أجل تجديد القيم الإنسانية العالمية.

ومن ثم فإن مثل هذه المقترحات تستدعي القيام بوضع خطة شاملة للتجديد التربوي على مستوى العالم العربي تهدف إلى إحداث نقلة نوعية في عمليات التربية والتعليم ومخرجاتها من خلال الانفتاح على الثقافات العالمية دون الانقطاع عن قيم الأمة وتراثها الخالد، ولن يكون أمام المجتمع العربي من سبيل لمواجهة هذه القضايا والتحديات إلا الشروع في التنسيق والتشاور والإيمان بالعمل القومي في إطار مؤسسات العمل العربي المشترك التي مازالت بأمس الحاجة إلى تفعيل دورها والنهوض بمسؤولياتها في المجال التربوي والعمل على بناء مستقبل الأمة العربية، والخروج بآلية عمل تقوم على أساس التخطيط العلمي والمستقبلي.

ونؤكد أنه لابد أن يكون لجامعة الدول العربية ومؤسساتها المعنية بموضوع التربية والثقافة دور كبير، ويجب إعادة النظر في هذا الدور لاسيما وأن موضوع التربية من الموضوعات غير السياسية وإن كان على صلة بها، وليس هناك ما يحول دون تبوء مؤسسات جامعة الدول العربية دوراً رئيسياً في الاضطلاع بمهمة تعزيز دور التربية والثقافة بمفهومها الواسع بالنهوض بدور الأجيال والناشئة وإعدادهم للمستقبل، ويمكنها الاستفادة في هذا المجال من خبرات وتجارب التجمعات والوحدات الإقليمية الأخرى، وما قطعته من شوط في هذا المجال، فإذا كانت جامعة الدول العربية ممثلة بأعضائها غير قادرة على عمل شيء في باب الإنجاز السياسي، فلماذا لا نبدأ الدخول من باب التربية والثقافة والعمل من خلال التنسيق مع المؤسسات التربوية والثقافية في جميع الدول العربية للخروج بخطة أو مشروع تربوي حضاري عربي يدفع بالمجتمعات العربية إلى آفاق حضارية إنسانية، لأن التربية الإنسانية هي التي يمكنها أن تجعل من المشروع الحضاري قوة نهضوية حقيقية متأصلة في عقول الأفراد ووجدان الأجيال المتلاحقة، فالتحديات التي تواجهها الأمة العربية في عصر العولمة لابد لها من حلول عربية وفي إطار جماعي عربي، إذ لا ينبغي التسليم بضياع إمكانيات العمل العربي المشترك، ولم يعد من

سبيل أمام العرب للخروج من حالة التخلف والجمود في الوقت الراهن إن لم ينطلقوا من منطلقين في آن واحد وهما: منطلق العلم والعقل وتكوين القدرة العلمية التقنية، ومنطلق الإيمان برسالة الأمة العربية ودورها من أجل بناء مشروعها الحضاري التربوي الإنساني المنشود. وأخيراً خير وسيلة لمواجهة العولمة هي الحضور لا الغياب، فالعولمة حاضرة فينا، فلنتعلم كيف نكون حاضرين فيها.

وصفوة القول: وبتحديد يسير فإن التربية الإنسانية التي نحن في حاجة إليها هي تلك التي يجب أن تكون ملكاً للجميع وللإنسانية جمعاء، قادرة على صياغة الوجدان وتطوير المعارف وصقل المهارات وأن كانت هذه التربية الإنسانية المشبعة بروح العصر ومنطقه العالمي الجديد لا يمكن بلوغها إلا في إطار المزاوجة بين ما هو ذاتي- محلي وما هو إنساني-كوني، فإن هذه المسألة أضحت من الأمور المسلم بها، إذا لم يعد هناك أي مبرر واقعي يسمح لمنظومة تربوية بالتوقع على نفسها أو بالانغلاق على ذاتها، لأنه حتى وإن أرادت ذلك فإن إكراهات العصر الجديد ومستجداته المعرفية والتكنولوجية لن تتوارى في إخضاعها لمنطق الانفتاح التربوي ورهاناته الكونية. وهذا ما يعني أن التربية العربية الراهنة حتى وإن كانت تتخذ من خصوصيات الحضارة العربية إطارها المرجعي لتأكيد هويتها، فإن مستقبلها يبقى رهن استعدادها للانخراط والمساهمة في بناء التربية الإنسانية ومظاهرها الكونية.

إن الأمثلة متعددة وتكثر من خلال هذه الجولة العلمية الأصولية الفقهية، الفكرية الفلسفية، التربوية الرؤياوية، مؤكدة أن الخطاب الفلسفي التربوي العربي الإسلامي قد عرف النزعة الإنسانية بأبعاد مختلفة. وفي نفس الوقت هذا لا يعني أن هذا الخطاب في مجموعه وفي كل ما نادى به كان إنسانياً، إذ لابد من الاعتراف بأن هناك آيات أخرى وأمثلة أخرى مغايرة، وإنما أردنا أن نؤكد بوجود توجه/ تيار إنساني، وأن هذا التوجه/ التيار كان واضحاً وقوياً ومؤزراً، وأنه امتد على فترات طويلة من التاريخ الإسلامي.

أن قناعتنا الفكرية في "إجادة طرح المسألة هو نصف العلم" كما يقول المثل اللاتيني. فإن كنا قد وفقنا في طرح المسألة وما تومئ إليه من حلول فقد أصبنا القصد وحسبنا أن بينا أن مهمة بناء تربية إنسانية عربية مستقبلية ليست مهمة واجبة فحسب بل مهمة ممكنة تم الكشف عن الكثير من دروبها واتجاهاتها الأساسية في بناء التربية العربية المعاصرة.